

المرصفي عالم العصر ومقرئ مصر

الدكتور محمد صالح جواد

كلية الإمام الأعظم الجامعة

Al-Mursafi The scientist of the era and the reader
of Egypt

Doctor

Mohammed Saleh Jawad al-Samarrai

Imam the Great University

Research Summary

- The world of readers is a wide indication of the vitality of this nation and its attention to the book of God Almighty, and scientist of this era, Sheikh Abdul-Fattah Al-Marsafi, who has a personality and knowledge in this area, making him a prominent scientist in the science of readings particularly.
- The highlight of this research on the biography of his blessed life, and the highlight of such pages supports communication between generations of readers, and that care of these translations contribute to highlighting the civilization of the Arab and Islamic world on the level of scientific projection.
- His book (Hedayat Alqar'e) touches the scientific soul to achieve the issues of this science, which characterized by his wonderful book, and enjoyed the literature of both with the elders or discuss them in this matter, the research highlighted a number of questions that indicate the depth of his knowledge, Scientists praise him highly.

ملخص البحث

- إن عالم القراء واسع دلّ على حيوية هذه الأمة وعنايتها بكتاب الله عزّ وجل، ومن أعلام هذا العصر العلامة الشيخ عبد الفتاح المرصفي الذي امتاز بشخصية وعلم واسع في هذا المجال، مما جعل منه علماً بارزاً في علم القراءات على وجه الخصوص.
- جاء تسليط الضوء في هذا البحث على سيرة حياته المباركة، وإن إبراز مثل هذه الصفحات الناصعة يُعدّ تواصلًا بين أجيال القراء، وإنّ العناية بهذه التراجم تصبّ في إبراز حضارة العالم العربي والإسلامي على الصعيد العلمي الإقراي.
- إن المطالع لكتابه (هداية القاري) يلمس نفساً علمياً لتحقيق مسائل هذا العلم الذي تميز به كتابه الرائع، وما تمتع به من أدب جمّ سواء مع شيوخه أو من يناقشهم في هذه المسألة أو تلك، وقد أبرز البحث جملة من المسائل الدالة على عمق علمه مما جعل العلماء يثنون عليه ثناءً عاطراً.

مقدمة

الحمد لله المنان الذي أنزل القرآن هادياً للتي هي أقوم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من تلا وعلم، وعلى آله وأصحابه خير جيل علم وعمل وتفهم، ومن سار على نهجهم إلى يوم الجزاء الأعظم، وسلّم تسليمًا كثيرًا. وبعد: فإنّ الله تعالى قد تكفل بحفظ كتابه الكريم فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ نَكِبٌ ﴾ [الحجر: 9]، ومن ذلك حفظ ألفاظه وتجويده وقراءته، ومن الحكم الربانية قيام أئمة ثقات في كل عصر ومصر على إتقان حروفه ورواياته، وتصحيح وجوه قراءته وضبط آياته، ليتحقق بذلك حفظه على مرّ العصور وكرّ الدهور. ومن هؤلاء الأعلام في هذا العصر العلامة الشيخ عبد الفتاح المرصفي الذي أحببنا تقديم شخصيته، وتسليط الضوء على سيرة حياته المباركة وفاءً بحقه من ناحية، وحثاً لقراء عصرنا في الاقتداء به من ناحية أخرى. وإنّ إبراز مثل هذه الصفحات الناصعة يُعدّ تواصلًا بين أجيال القراء من علماء هذه الأمة ومفكرها، وإنّ العناية بهذه التراجم تصبّ في إبراز حضارة العالم العربي والإسلامي على الصعيد العلمي الإقراي. هذا وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه بعد المقدمة إلى مباحث أربعة تناولت حياة الشيخ العلامة المرصفي، ولم آل جهداً ولم أذخر وسعاً في تتبّع سيرته الطيبة وحياته الإقراية المباركة، ولملمة ما كتب عنه هنا وهناك، ثمّ تنظيم هذه المعلومات مدرجةً تحت مباحث مناسبة، فكان المبحث الأول عن نشأته وتحصيله، والثاني عن علمه وأخلاقه، والثالث عن نماذج في مسائل تجويدية دلّت على دقة فهمه ورسوخ علمه، والرابع عن آثاره وأقوال العلماء فيه ووفاته، ثمّ خاتمة بأهمّ نتائج البحث. فما كان من توفيق فمرده إلى الله تعالى وفضله وآلائه الكريمة التي لا تُعدّ ولا تُحصى، وما كان من إخفاق فهو من نفسي، وحسبي بذل الجهد وحسن القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله وسلّم وبارك على سيد المرسلين.

المبحث الأول نشأته وتحصيله

نتحدث في هذا المبحث عن السيرة الذاتية للشيخ المرصفي من حيث الاسم والنسب والنشأة الطيبة وأخذة لعلم القراءات وتحصيله العلمي، وذلك في النقاط الآتية:

أولاً: اسمه ونسبه

هو المقرئ الشهير العلامة النحرير المحقق المدقق الشيخ عبد الفتاح بن السيد عجمي ابن السيد العسس لقباً، (المرصفي بلداً ومولداً، المصري موطنًا، الشافعي مذهبًا، الأزهري تربيةً)^(١)، ثمّ المدني إقامة. ولد في يوم الثلاثاء ١١/شوال/١٣٤١هـ، الموافق ٥/يونيو

حزيران/١٩٢٣م، بمرصفا من أعمال محافظة القليوبية بجمهورية مصر العربية^(٢)، ومن صفته: أنه كان أسمر اللون ذا لحية بيضاء طويلة^(٣).

ثانياً: نشأته

نشأ الشيخ المرصفي في أسرة علمية سالحة من أهل القرآن، وهكذا الشجر الطيب لا ينبت إلا الثمار الطيبة بإذن الله، وكان والده من أهل القرآن، وكان حافظاً مقرئاً للقرآن الكريم في بلدته مرصفا، وتخرّج على يديه جُلَّة من علماء مرصفا. وكان السيد عجمي (والده) يقرأ بقراءة أبي عمرو البصري، عالماً بالقراءات الأخرى، ذا حكمة وعلم وحرص. وتوجه عبد الفتاح المرصفي لحفظ القرآن الكريم منذ نعومة أظفاره، فقد جلس إلى الشيخ زكي محمد عفيفي نصر المرصفي، وأتم حفظه ولم يتجاوز العاشرة من عمره. ثم دخل المدرسة الأولية (الابتدائية) سنة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٤م، ثم تخرج فيها سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م، وكان ترتيبه الأول على محافظته.

ثالثاً: شغفه بعلم القراءات

درس التجويد في البداية عند الأستاذ رفاعي محمد أحمد المجولي، وقد ذكره المرصفي في كتابه وقال: (وهو أحد شيوخه في القراءات السبع، وقد قرأت عليه القرآن الكريم من أوله إلى آخره خمس مرات: الأولى: برواية حفص عن عاصم، والثانية: بقراءة ابن كثير، والثالثة: بقراءة حمزة، والرابعة: بقراءة الإمام الكسائي، والخامسة: بالقراءات السبع بمضمن الشاطبية، وقد أجازني بكلّ ختمة إجازة رحمه الله تعالى رحمة واسعة)^(٤). ثم التقى بالأستاذ المقرئ الشيخ حامد علي السيد الغندور فأخذ عليه القراءات الثلاث من طريق الدرّة، ثم قراءة حمزة ويعقوب ورواية حفص ورواية الأصبهاني عن ورش من طريق الشاطبية وأجازه بذلك. ثم التقى سنة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٥م بالعلامة محمد الأنور حسن شريف وأخذ عليه القراءات الثلاث من طريق الدرّة، ثم ختمة كاملة بالقراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرّة. كما قرأ سنة ١٣٧٦هـ / ١٩٥٧م على الشيخ محمد بن علي بسّة القرآن من الشاطبية والدرّة، وأخذ عنه كذلك النحو والصرف والمتون. ثم أخذ عن الشيخ المقرئ محمد جمعة الباز القراءات الثلاث من طريق الدرّة. ومن تمام منّة الله تعالى عليه التقاؤه سنة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م بأعلى القراء سنداً في هذا العصر وهو العلامة المقرئ الكبير بالقاهرة الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات، حيث ختم عليه ختمة كاملة في (٤٤) يوماً بالقراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرّة، وأجازه بذلك. وهكذا كان شغفه بالقراءات شديداً إلى درجة أنه لا يملّ من الأخذ عن الشيوخ ويزداد علماً بهذا التكرار؛ لأنه يعلم أنّ عند كلّ شيخ ما ليس عند غيره سواء في العلم أو الطريقة أو الخبرة، وبذلك جمع خبرة فائقة عن كثير من شيوخه الذين أخذ عنهم.

رابعاً: كوكبة من شيوخه

تعدّد شيوخ المرصفي لشغفه بهذا العلم كما أسلفنا، وهذه قائمة بكوكبة من أشهرهم من بلده وخارج بلده في رحلاته ولقائه:

١. الشيخ زكي بن محمد بن عفيفي بن نصر المرصفي.
٢. الشيخ رفاعي بن محمد بن أحمد المجولي.
٣. الشيخ حامد بن علي السيد غندور.
٤. الشيخ محمد الأنور بن حسن شريف.
٥. الشيخ محمد بن جمعة الباز.
٦. الشيخ حسن المرّي.
٧. الشيخ عبد الله البطران.
٨. الشيخ محمد السباعي عامر.
٩. الشيخ عبد المحسن شطا.
١٠. الشيخ قاسم الدجوي.
١١. الشيخ أحمد بن عبد العزيز الزيات.
١٢. الشيخ محمد بن علي الغرياني.

خامساً: تحصيله الأكاديمي^(٥) تقدّم أنّ المرصفي أنهى تعليمه الأولي سنة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م، ثم واصل تعليمه بعدها متدرجاً في مراحل الدراسة، وفي عام ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م التحق بالأزهر الشريف في قسم القراءات فحصل على إجازة التجويد وكان ترتيبه الأول على مصر.

وبعد ثلاث سنوات أي في سنة ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م حصل على الشهادة العالية في القراءات وكان ترتيبه الثالث. وواصل دراسة التخصص في قسم القراءات بكلية اللغة العربية فحصل عليها سنة ١٣٨٠هـ/١٩٦١م، وكان ترتيبه الثاني. ودرس في الأزهر علومًا عدّة وفنونًا شتى كالنحو والصرف والبلاغة والفقهاء والتفسير والحديث، كما نهل في فترة دراسته في الأزهر أيضًا على غير واحد من العلماء الأثبات، حيث قرأ على الشيخ حسن المرّي رواية حفص عن عاصم، وقد حضر عليه في السنة الأولى بتخصص القراءات، وشرع في القراءة عليه ختمة للعشرة من طريق طيبة النشر، ولكن لم يتم لظروف ألفت به كما أخذ أيضًا في تلك المدة عن الشيخ عبد الله البطران رواية حفص عن عاصم، وأخذ أيضًا عن العالم الفاضل العلامة المصري الشيخ محمد السباعي عامر بقسم تخصص القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر يوم ذاك علوم النحو والصرف والبلاغة والتفسير وناظمة الزهر، وأخذ أيضًا عن الشيخ عبد المحسن شطا، حيث حضر عليه في قسم تخصص القراءات مادة توجيه القراءات العشر من طريق طيبة النشر، وحضر أيضًا عند الشيخ قاسم الدجوي وأخذ عنه شرح طيبة النشر. وخلال مدة بقائه في ليبيا كما سيأتي انتسب إلى الأزهر في كلية الدراسات الإسلامية والعربية، وحصل على الإجازة العالية (شهادة الليسانس) سنة ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

المبحث الثاني علمه وأخلاقه

للشيخ العلامة المرصفي علوم ومعارف هضمها، وأخلاق تحلّى بها، مع عبادة وزهد وتقرب إلى الله تعالى لا تفارقه، كما كانت له رحلات في سبيل نشر العلم، ونبين ذلك في النقاط الآتية:

أولاً: حرصه وحبّه للعلم

إن حبّ الشيخ للعلم وحرصه على طلبه جعله يفتنم كلّ فرصة متاحة لتوظيفها في التحصيل العلمي، سواء كانت ضمن الدراسة المنهجية أو خارجها، فالعلم يُطلب لذاته وليس للامتحان ثمّ يتبخّر، كما هو حال كثير من طلاب العصر. ومن هنا جندّ الشيخ نفسه ووطنها على الجدّ والاجتهاد في سبيل ذلك، فلم يكتفِ بما أخذه من العلوم على شيوخ مصر كما تقدّم، ولكنّه يقتنص وقته حيثما حلّ وأينما نزل، ومن ذلك لقاءه مدة وجوده في ليبيا بالشيخ علي الغرياني التاجوري المالكي، وهو من أجلّة علماء طرابلس الغرب. والتقى أيضًا بالشيخ محمد بن الشيخ علي الغرياني، حيث درس عليه بمدرسة أبي راوي بتاجوراء، وبمنزل الشيخ محمد بن علي التاجوري الكثير من العلوم العربية والشرعية، منها الحديث الشريف ومصطلحه، والفقهاء المقارن من كتاب بداية المجتهد لابن رشد، ومذكرة أصول الفقه للشيخ أبي النجا المصري الأزهري، وشرح الأسنوي والبدخشي على منهاج الوصول في علم الأصول للبيضاوي، ورسالة التوحيد للشيخ محمد عبده، وكتاب الاقتصاد في أصول الاعتقاد لأبي حامد الغزالي، وشرح الدمنهوري وغيره من شراح السُّلم في المنطق، والقوانين الفقهية للإمام الأكبر ابن جُزّي الكلبي، وغير ذلك من العلوم والمتون التي حفظها المرصفي. ونذكر هنا ما قاله في ترجمته للعلامة السنطاوي^(١)، حيث بيّن أنّه حفظ من تصانيفه العديدة والمفيدة: رسالة في رواية ورش من طريق الأصبهاني، ورسالة لحفص عن عاصم من طريق الطيبة، ورسالة في قراءة حمزة بالسكت المطلق من طريق الطيبة أيضًا، ورسالة ليعقوب البصري من الطيبة كذلك، وكان يحفظ كلّ ما يدرسه، وتلك موهبة ربانية للشيخ المرصفي، إذ كان يقدر ما للحفظ من أثر في ضبط العلم وقوة استحضاره. وكان للشيخ أثناء طلبه للعلم زملاء ومحبتون، وكان يلتزم مرافقة المماتين له في حبّ العلم والتفاني فيه، ونجد الشيخ يثني على أحدهم ويقر بفضلته، وهو: الشيخ مصطفى خضر، الذي رافق الشيخ عبد الفتاح في طلب العلم بالأزهر، حيث ذكره المرصفي في كتابه هداية القاري فقال: (وهذا العالم الفاضل كان زميلنا في طلب العلم بقسم تخصص القراءات وتخرجنا معًا، ثمّ رافقنا في الطلب في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، وتخرجنا معًا أيضًا، ثمّ انتسب للدراسات العليا بالأزهر، والله نسأل أن يتمّ بالخير)^(٧).

ثانيًا: أخلاقه وأحواله^(٨)

كان الشيخ المرصفي صاحب نكتة ودعابة، يمازح ضيوفه رغم ما به من مرض، طيّب المعشر، ليّن العريكة، حلو الحديث، عريض البسمة، سخيا كريمًا، مجلًا لأهل القرآن خاصة، محبًا لأهل العلم عامة، وكان شديدًا في الحق لا تأخذه فيه لومة لائم. وكان إذا جلس للإقراء جلس بهيئة حسنة، له هيبة عظيمة، يعلوه وقار وصمت، وحسن سمت، وإذا تحدّث في القراءات والروايات والطرق رأته حذرًا دقًا، يسوق الكلام بعلم وفصاحة منقطعة النظير. وكان غيورًا على أهل القرآن والقراءات، ويردّ على المخالفين بحجّة دامغة مع أدب جم، وكان كثير الترحم والتأدب مع العلماء السابقين. وكان شديد الحبّ لمشايخه، ولا يكاد يذكر أحدًا منهم إلّا وترحم عليه

ودعا له، وقد ترجم لكثير منهم آخر كتابه (هداية القاري)، من شيوخ أسانيدِه وكان يصف كل واحد منهم آتِه شيخ شيوخنا^(٩)، ومنهم على سبيل المثال:

- الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الحق السنباطي (ت ٩٩٩هـ)^(١٠).
 - الشيخ علي بن محمد بن غانم المقدسي الحنفي الخزرجي (ت ١٠٠٤هـ)^(١١).
 - الشيخ سيف الدين أبو الفتوح الفضالي (ت ١٠٢٠هـ)^(١٢)، قال عنه (شيخ شيوخنا البصير بقلبه)^(١٣)، ولم يقل الضير، وهذا من شدة أدبه.
 - الشيخ أحمد الإسقاطي الحنفي المصري أبو السعود (ت ١١٥٩هـ)^(١٤).
 - الشيخ رضوان المخللاتي (ت ١٣١١هـ)^(١٥).
- ويقول المرصفي حين يترجم لهؤلاء الأعلام: (والله أسأل أن يرزقني الأدب مع هؤلاء الرجال، وأن لا يحرمني من بركاتهم وبركات أمثالهم، وأن يجعلنا جميعًا في مستقر رحمة)^(١٦). وكان عابداً ناسكاً يصلي كل يوم من الوتر إحدى عشرة ركعة يقرأ فيهنّ جزأين من القرآن الكريم، ولا يترك التهجد والتبتل والدعاء. وكان يصلي في التراويح بخمسة أجزاء كل يوم، وكان هذا دأبه طيلة حياته.
- ثالثاً: رحلاته^(١٧)**

كان الشيخ المرصفي حريصاً على لقاء أهل العلم لا سيّما علم القراءات، فمن يلقاه يتباحث معه في مسائل هذا العلم للتلاقي والتواصل الذي هو دأب العلماء، فمن ذلك قوله (وقد تعرّفت على الأستاذ الجليل الشيخ بشير الشلاح، جلست معه في الحرم النبوي الشريف وبحثت معه في مسائل القراءات، فكان على قدم راسخة في هذا الفن، كما تعرّفت على الأستاذ الكبير الشيخ حسين خطّاب شيخ القراء بدمشق وبحثت معه كثيرًا في مسائل هامة في التجويد والقراءات كما هو مذكور في تقديمه لكتابنا هداية القاري، وكان ذلك في المسجد النبوي الشريف)^(١٨). وفي سنة ١٣٨١هـ / ١٩٦٢م سافر الشيخ المرصفي إلى ليبيا مدرّساً في جامعة الإمام محمد بن علي السنوسي الإسلامية، وبقي فيها (١٦) عاماً، ما بين: ١٣٨١-١٣٩٧هـ = ١٩٦٢-١٩٧٧م، كما أنّه في وجوده بليبيا أفاد خلقاً كثيراً أخذوا عنه التجويد والقراءات حتى أنّه أفرد لهم كتاباً خاصاً برواية قالون عن نافع، وهي الرواية التي يقرؤون بها. وقال عن شيخه الغرياني: (قد عاصرت هذا الشيخ والتقيت به مرّات كثيرة، وكنت من الذين يحضرون مجالسه العلمية التي كان فيها قمة، حيث كان يستفيد منه كل الجلوس، وكانت له مجالس وعظية كان فيها آية، فكان إذا اقتحم هذا المجال اهتزت قلوب الجلوس واقشعرت أبدانهم من قوة تذكيره ونصحه لهم، وما كان يمتلكه من أسلوب رفيع وعبارات فصيحة، وفوق ذلك كله الإخلاص الذي يلبس كلامه فرحمه الله رحمة واسعة ولا نركيه على الله، وكانت هذه المعاصرة أيام وجودي في ليبيا حيث كنت أعمل مدرّساً بمدينة تاجوراء لمدة تقرب من ستة عشر عاماً، وكنت أقطن بجواره وزرته في بيته مرّات، وشملني بعطفه ورعايته، وكان أولاده معي على نفس الدرب يسرون..)^(١٩). وفي عام ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ودّع الشيخ ليبيا متوجّهاً إلى المدينة المنورة على ساكنها الصلاة والسلام، وكانت الرحلة إلى مدينة الحبيب المصطفى ﷺ رحلة علمية وروحية وإيمانية، حيث شرف المكان ومقام المكين، ومحط أنظار المسلمين في كل بقاع الأرض، وسيلأتي في الفقرة اللاحقة مزيد إيضاح عن وجوده في المدينة المنورة.

رابعاً: وظائفه العلمية^(٢٠)

في مدة وجوده في ليبيا عمل رحمه الله مدرّساً لعلم التجويد بالمدارس القرآنية كمدرسة مدينة تاجوراء وترهونة وغيرها، كما قام أيضاً بإلقاء دروس الوعظ والإرشاد بالجامعة الإسلامية في ليبيا. وعُين بعد رحلته إلى المدينة معيداً في كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية بالمدينة المنورة، ولما رأوا من معرفته وصدقه ونجابته وتفوّقه قرّرت إدارة مجلس الجامعة الإسلامية تكريم الشيخ المرصفي وترقيته إلى درجة أستاذ في كلية القرآن الكريم، وكان ذلك بأمر ملكي في ٦/ صفر/ ١٤٠٦هـ، الموافق ٢٠/ تشرين أول/ ١٩٨٥م. ثم عُين عضواً في اللجنة العلمية في مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، وكانت مهمته الإشراف على طبع المصحف ومتابعته بدقة من حيث الرسم والحركات وعلامات الوقف وغير ذلك. كما أنيطت به مهمة أخرى وهي الإشراف والمراقبة على تسجيلات القرآن الكريم بأصوات أشهر القراء في المملكة العربية السعودية.

المبحث الثالث نماذج في مسائل التجويد

سبق التنويه بشأن كتاب (هداية القاري إلى تجويد كلام الباري) وما فيه من الدقة والاستيعاب والتحقيق لمهمات مسائل التجويد، مما يدل على قدم راسخة للمرصفي وما يتمتع به من نباهة علمية وتوثيق دقيق، وقد قال المرصفي في مقدّمة كتابه هذا: (رأيت أنّ من الواجب عليّ نحو القرآن الكريم، وأحكام تلاوته أن أكتب كتاباً في فن تجويد القرآن متوخياً فيه سهولة الأسلوب ووضوح المعنى وبسط الموضوع، وتقريب البعيد، وتجنب التعقيد، ليكون للمبتدئين تبصرة، وللمنتهين تذكرة، وقد قيدت جُلّ مسائله بشواهد من المنظوم تضمنت ما جاء في المتنين المباركين: متن المقدمة الجزرية للحافظ ابن الجزري، ومتن تحفة الأطفال للعلامة الشيخ سليمان الجمزوري وغيرهما من المتون المعول عليها في هذا الشأن، ومما أخذته عن شيوخي بالأزهر المعمور حالة الأداء ليعم النفع به ويسهل الاغتراف منه، فليس بالطويل الممل، ولا بالقصير المخل، فجاء بحمد الله كتاباً وافياً بالمقصود منه، جامعاً للفوائد المتعلقة بموضوعه، ولم أدخر جهداً في تنقيحه وتهذيبه وتحريره وتقريبه، تيسيراً لطلابه، ومع هذا فإنّي معترف بالتقصير أمام الأتبات النحارير، ولا أدعي السلامة فيه من العيوب؛ لأنّه لا كمال إلا لله وحده علاّم الغيوب^(٢١)). وهذه بعض النماذج من كتابه في مسائل مختلفة:

أولاً: الفرق بين الضاد المعجمة والظاء المشالة^(٢٢)

يوضح المرصفي الفرق بينهما بشكل علمي مبسط، فيبين أنّه يأتي من ناحيتين: ناحية المخرج وناحية الصفة، أما ناحية المخرج فالضاد تخرج من إحدى حافتي اللسان وما يليها من الأضراس التي في الجانب الأيسر أو الأيمن، والظاء تخرج من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا أي رؤوسها. وأما من ناحية الصفة فالضاد تمتاز عن الظاء بصفة الاستطالة، وباقي الصفات الخمس تتفق معها فيها. ومن ثمّ يتضح أنّ الفرق بين الضاد والظاء قائم على المخرج وصفة الاستطالة ولولاها لكانت إحداهما عين الأخرى، ومن أجل هذا وجب التمييز بينها بهذين الفرقين، وهذا ما أشار إليه ابن الجزري في المقدّمة الجزرية بقوله:

والضاد باستطالة ومخرَج مَيَّزٌ مِنَ الظَّاءِ وَكُلُّهَا تَجِي^(٢٣)

كما أوضح أنّ الضاد أصعب الحروف وأشدّها على اللسان مخرجاً، ويختلف نطق الناس بها، فمنهم من يخرجها من مخرجها الحقيقي المعد لها ضاداً مستطيلة وهم القلة، ومنهم من يخرجها من مخرج الظاء أو يخرجها طاء مهملة، ومنهم من يلتبس عليه الفرق بين الضاد والظاء فيضع إحداهما مكان الأخرى، وهذا كله لحن لا تصح القراءة به لأنّ فيه تغييراً للفظ وإخراجاً للكلمة عن المعنى المقصود. ولهذا اهتم العلماء اهتماماً بالغاً بحصر الظاءات وموادها التي وردت في القرآن الكريم، وأفردوها بالتأليف نثرًا ونظمًا، وإنما فعلوا ذلك لقلتها بالنسبة إلى الضاد، ومن ثمّ يؤخذ من حصرهم للظاءات المشالة الواردة في التنزيل أنّ ما سواها فيه هو بالضاد كتابة ولفظاً. ثمّ يمضي المرصفي مبيناً ما ورد في القرآن الكريم من الظاءات المشالة حسبما جاء في المقدّمة الجزرية، ومن هذه الألفاظ ما وقع في موضع واحد، ومنها ما وقع في أكثر من موضع، وعدد الكلمات التي تكتب بالظاء المشاله هي (٢٨) كلمة، ونذكرها - كما ذكرها المرصفي - فيما يأتي مع عدد مرات ورودها، ونكتفي بمثال واحد عند تعددها تجنباً للإطالة مع بيان المعنى عند الحاجة:

١. الظعن: (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿تَسْتَخْفُونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامِكُمْ﴾ [النحل: ٨٠]، قال ابن قتيبة: (يَوْمَ ظَعْنِكُمْ: يوم سفركم)(٢٤).
٢. الظل: (٢٢) مرة، كقوله تعالى: ﴿وَوَلَلْنَا عَيْنَكُمُ الْعَمَامُ﴾ [البقرة: ٥٧].
٣. الظُّهر: أي منتصف النهار (٢) مرتان، كقوله تعالى: ﴿وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ﴾ [النور: ٥٨].
٤. العظيم: (١٠٣) مرة، كقوله تعالى: ﴿وَأَلْهَمَ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].
٥. الحفظ: (٤٢) مرة، كقوله تعالى: ﴿حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨].
٦. أيقاظ: (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَتَحَسَّبَهُمْ أَنْكَازًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ [الكهف: ١٨].
٧. النظر: من الإنظار (٢٠) مرة، كقوله تعالى: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسَبْ مِنْ ثَوْبِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، قال القرطبي: (وَالنَّظْرُ: الْإِنْتِظَارُ أَيْ انْتِظَرُونَا)^(٢٥).
٨. العظم: للآدمي وغيره (١٥) مرة، كقوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨].
٩. الظُّهر: للآدمي وغيره (١٦) مرة، كقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح: ٣].
١٠. اللفظ: أي التلفظ (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

١١. **ظاهر**: ظاهرٌ بجميع معانيها (٤١) مرة، وجاءت لستٍ معانٍ: بمعنى ضد الباطن، أو الظاهر، أو التظاهر (التعاون)، أو الاطلاع، أو الانتصار، أو الغلبة، كقوله تعالى: ﴿وَدَرُّوْا ظَهْرَ الْاِثْمِ وَبَاطِنُهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠]، قال القرطبي: (لِلْعُلَمَاءِ فِيهِ أَقْوَالٌ كَثِيْرَةٌ، وَخَاصِلُهَا رَاجِعٌ اِلَى اَنَّ الظَّاهِرَ مَا كَانَ عَمَلًا بِالْبَدَنِ مِمَّا نَهَى اللهُ عَنْهُ، وَبَاطِنُهُ مَا عَقَدَ بِالْقَلْبِ مِنْ مُخَالَفَةِ اَمْرِ اللهِ فِيْمَا اَمَرَ وَنَهَى، وَهَذِهِ الْمُرْتَبَةُ لَا يَبْلُغُهَا اِلَّا مَنْ اتَّقَى وَاحْسَنَ) (٢٦).

١٢. **لظى**: اسماً أو فعلاً (٢) مرتان، كقوله تعالى: ﴿كَلَّا اِنَّمَا لَظَى﴾ [المعارج: ١٥].

١٣. **شواظ**: (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿رُسُلٌ عَلَيَكُمْ شَواظٌ﴾ [الرحمن: ٣٥]، قال الفراء: (الشواظ: النار المحضة) (٢٧).

١٤. **كاظمين**: (٦) مرات، كقوله تعالى: ﴿وَالْكَاطِمِينَ اَلْغَيْظِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

١٥. **الظلم**: (٢٨٠) مرة، كقوله تعالى: ﴿وَالظَّالِمِينَ اَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا اَلِيْمًا﴾ [الإنسان: ٣١].

١٦. **الغلظة**: (١٣) مرة، كقوله تعالى: ﴿وَاغْلَظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التحریم: ٩].

١٧. **الظلام**: (٢٦) مرة، كقوله تعالى: ﴿وَوَرَّكُهُمْ فِي ظُلْمَةٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [البقرة: ١٧].

١٨. **الظفر**: وجمعه أظافر وأظفار (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِيْنَ هَادُوا حَرَمًا كَلَّ ذِي ظُفْرِ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

١٩. **الانتظار**: (٢٦) مرة، كقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ اِلَّا السَّاعَةَ اَنْ تَأْتِيَهُمْ بَعْتَةٌ﴾ [محمد: ١٨]، قال الشنقيطي: (يَنْظُرُونَ: بِمَعْنَى يَنْتَظِرُونَ، اَيُّ مَا يَنْتَظِرُ الْكُفَّارُ اِلَّا السَّاعَةَ، اَيُّ اَلْقِيَامَةِ) (٢٨).

٢٠. **الظمأ**: (٣) مرات، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْتِيهِمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ﴾ [التوبة: ١٢٠].

٢١. **الظفر**: بمعنى الغلبة والنصر (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿مَنْ بَعَدَ اَنْ اَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤]، قال ابن عطية: (والظفر عليهم هو أسر من أسر منهم) (٢٩).

٢٢. **الظن**: (٦٩) مرة، كقوله تعالى: ﴿وَوَظَنَنْتُمْ ظُرْبَ السَّوْءِ﴾ [الفتح: ١٢].

٢٣. **الوعظ**: (٢٤) مرة، كقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَوْعَظُونَ بِهِ﴾ [المجادلة: ٣].

٢٤. **ظل** بمعنى دام أو صار (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَاطِمٌ﴾ [النحل: ٥٨]، قال القاسمي: (أي صار أو دام النهار كله مسوداً أي متغيراً من الغم والحزن والغيظ والكراهية التي حصلت له عند هذه البشارة، وسواد الوجه وبياضه يعبر عن المساءة والمسرة، كناية أو مجازاً) (٣٠).

٢٥. **الحظر**: وهو المنع والحجر (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، قال القرطبي: (أي مَحْبُوسًا مَمْنُوعًا، مِنْ حَظَرَ يَحْظُرُ حَظْرًا وَحِظَارًا) (٣١).

٢٦. **المحتظر**: بمعنى صاحب الحظيرة (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿فَكَانُوا كَهَشِيرِ اَلْحَظِيرِ﴾ [القمر: ٣١]، قال ابن قتيبة: (المحتظر: صاحب الحظيرة، وكأنه يعني: صاحب الغنم الذي يجمع الحشيش في الحظيرة لغنمه) (٣٢).

٢٧. **الفظ**: من الفظاظه وهي الغلظة (١) مرة واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ اَلْقَلْبِ لَاقْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

٢٨. **النظر**: بمعنى الرؤية أو التفكير (٨٦) مرة، كقوله تعالى: ﴿وَوَرَّكُهُمْ يَنْظُرُونَ اِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٩٨].

ويلاحظ أن المرصفي رحمه الله تعالى نظر في معاني هذه الألفاظ وأحصاها وذكر الآيات تفصيلاً في مواضعها، وهو كما ترى استيعاب وتوضيح وتبسيط.

ثانياً: تنبيهات بخصوص الإخفاء من حيث الأداء والكيفية والمراتب (٣٣)

في هذا الباب تنبيهات مهمة تخص الإخفاء والفرق بينه وبين الإدغام، وهو باب نفيس حقق فيه المرصفي الصواب مما وقع فيه الإشكال عند أهل الأداء، ودل ذلك على دقة فهمه وإفادة القراء لئلا يقعوا في غائلة الخطأ، وذلك فيما يأتي:

الأول: النون الساكنة في حالة الإخفاء لا تخلو من أن يقع قبلها ضمة نحو ﴿كُنْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣] أو كسرة نحو ﴿مَنْكُرٌ﴾ [مريم: ٧١] أو فتحة نحو ﴿عَنْكُرٌ﴾ [الأنفال: ١١] فليحذر القارئ من إشباع هذه الحركات حتى لا يتولد من الضمة واو ومن الكسرة ياء ومن الفتحة ألف فيصير اللفظ (كونتم، مينكم، عانكم) وكثيراً ما يقع هذا من بعض القراء، وهو خطأ قبيح وتحريف صريح وزيادة حرف بلا مبرر.

الثاني: من الخطأ في الإخفاء أيضاً إصاق اللسان بالثنايا العليا عند إخفاء النون الساكنة والتتوين إذ ينشأ عن ذلك النطق بالنون ساكنة مظهره مصحوبة بغنة، فيخرج القارئ بذلك عن الإخفاء المقصود، وما سُمِّي الإخفاء إخفاءً إلا لإخفاء النون الساكنة والتتوين عند الحروف الخاصة به، وكيفيته كما صرح به غير واحد من أئمتنا كالحافظ القسطلاني أن يكون هنالك تجافٍ بين اللسان والثنايا العليا، أو بعبارة أخرى أن يجعل القارئ لسانه بعيداً عن مخرج النون قليلاً فيقع الإخفاء الصحيح المقصود، ويتأكد ذلك عند الطاء والذال المهملتين والتاء المثناة فوق، وكذلك الصاد المعجمة.

الثالث: مما يجب معرفته أنّ الفرق بين الإدغام والإخفاء هو أنّ الإدغام يصحبه التشديد، وأنّ الإخفاء غير مصحوب به، ويكون عند الحروف لا فيها، بخلاف الإدغام فهو في الحروف لا عندها، يقال أخفيت النون عند الكاف لا فيها وأدغمتها في الراء لا عندها.

الرابع: إخفاء النون الساكنة والتتوين عند الحروف الخمسة عشر ليس في مرتبة واحدة بل هناك تفاوت في القوة، وذلك على قدر قرب حروف الإخفاء من النون والتتوين وبُعدهن عنهما في المخرج، فكلما قربا من حروف الإخفاء كان إخفاؤهما عند هذا الحرف أزيد مما بُعد عنه، وبذلك يكون الإخفاء على مراتب ثلاث: أقواها: عند الطاء والذال المهملتين والتاء المثناة فوق، أي أنّ الإخفاء عند هذه الحروف يكون قريباً من الإدغام، وذلك لقربهنّ من النون والتتوين في المخرج. وأدناها: عند القاف والكاف، أي أنّ الإخفاء عند هذين الحرفين يكون قريباً من الإظهار، وذلك لبُعدهما عن النون والتتوين في المخرج. وأوسطها: عند الحروف العشرة الباقية، أي أنّ الإخفاء عند هذه الحروف يكون متوسطاً، فليس قريباً من الإدغام كما في المرتبة الأولى، ولا من الإظهار كما في المرتبة الثانية، وذلك لتوسطها في القرب والبعد من النون والتتوين في المخرج. وأمّا الغنة في الإخفاء في جميع أحواله السابقة فلا تفاوت فيها على التحقيق، فهي لا تزيد ولا تنقص عن مقدار حركتين كالمد الطبيعي.

الخامس: كل ما جاء في هذا الباب من الأحكام الأربعة إن كان في كلمة فالحكم فيه عام في الوصل والوقف، وإن كان في كلمتين فالحكم فيه خاص بالوصل فقط، هذا بالنسبة للنون، أمّا بالنسبة للتتوين فالحكم فيه خاص بالوصل لا غير؛ لأنه لا يكون إلا من كلمتين كما هو مقرر. وهكذا نرى المرصفي قد أعطى معلومات فارقة بين الحالتين لا تراها بهذا الإيضاح والبيان في مكان آخر من كتب التجويد.

ثالثاً: همزة الوصل: تعريفها ومواضعها وحكمها (٣٤).

يبين المرصفي في هذا الباب تبسيطاً علمياً لهمزة الوصل ومواضع وجودها وأحكامها بإسلوب شيق واضح يدل على مراعاته لطالب القراءة وتفهمه هذه المسألة التي تحتاج إلى الوقوف عليها وتجنب الخطأ في تطبيقها، ولنر كيف يتدرج المرصفي في بيان هذا الموضوع.

تهديد:

- إنّه من المقرر أنّ للقارئ حالتين: حالة ابتداء وحالة وقف.
- إنّ من الأصول المقررة ألاّ يُبتدأ بساكن وألاّ يوقف على متحرك، ويؤخذ من هذا الأصل أنّ الابتداء لا يكون إلاّ بالحركة، وأنّ الوقف لا يكون إلاّ بالسكون أو ما في حكمه كالوقف بوجه الروم.
- إذا تقرّر هذا فاعلم أنّ من الكلمات ما يكون أولها متحركاً، وهذا لا إشكال فيه عند الابتداء إذ الابتداء بالحركة غير متعذر.
- ومنها ما يكون أولها ساكناً، والابتداء بالساكن غير مقدور عليه بل محال، ومن ثمّ احتيج إلى اجتلاب همزة زائدة في أول هذه الكلمة، وهي همزة الوصل.

تعريفها: هي الهمزة الزائدة في أول الكلمة الثابتة في الابتداء الساقطة في الدرج - أي في الوصل، نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ [النمل: ٥٩]، وهنا نجد أنّ همزة كلمة ﴿الْحَمْدُ، الَّذِينَ، اصْطَفَىٰ﴾ هي همزة وصل لسقوطها في الوصل، أي وصل هذه الكلمات بما قبلها، وثبوتها في الابتداء إذا ابتدئ بها. سبب تسميتها: سميت بذلك لأنه يتوصل بها إلى النطق بالساكن، ولذا سماها الخليل بن أحمد (سُلم اللسان) (٣٥). مواضعها: تكون همزة الوصل في الأسماء والأفعال والحروف، وتارة تكون قياسية وهو الأكثر وروداً، وتارة تكون سماعية وهو الأقل، وفيما يلي الكلام على كل موضع جاءت فيه بانفراد.

- وجودها في الأفعال وبيان حركة البدء بها: تكون همزة الوصل في الأفعال القياسية، ولا توجد إلا في الفعل الماضي والأمر.

أما وجودها في الماضي فلا يكون إلا في الخماسي والسداسي، فالماضي الخماسي نحو ﴿أَعَدَدْتُ، أَقْرَبْتُ، أَشْرَيْتُ﴾ كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَعَدَدْتُمْ عَلَيْهِ مِثْلَ مَا أَعَدَدْتُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقوله: ﴿أَقْرَبْتُ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١]، وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾ [التوبة: ١١١].

والماضي السداسي: نحو (استسقى، استكبر، استطعم، استنصر) كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾ [البقرة: ٦٠]، وقوله: ﴿إِلَّا إِلَيْسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكٰفِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، وقوله: ﴿اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا﴾ [الكهف: ٧٧]، وقوله: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾ [الأنفال: ٧٢].

وأما وجودها في فعل الأمر فمقيّد بأمر الثلاثي والخماسي والسداسي، فالأمر من الثلاثي نحو (اضرب، اخرج، انظر، اتل، ادع) كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠]، وقوله: ﴿وَقَالَتْ أَخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ [يوسف: ٣١]، وقوله: ﴿انظُرْ كَيْفَ بُيِّنْتُ لَهُمْ الْأَيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّ يُؤْفَكُونَ﴾ [المائدة: ٧٥]، وقوله: ﴿أَتَلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله عز من قائل: ﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾ [النحل: ١٢٥].

والأمر من الخماسي نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ أَنْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، وقوله: ﴿أَطْلِقُوا إِلَى مَا كُنتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [المرسلات: ٢٩]، وقوله: ﴿قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

والأمر من السداسي نحو: (استغفر، استأجره، استهزءوا) كما في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، وقوله: ﴿يَتَأْتِبِ اسْتَغْفِرُهُ﴾ [القصص: ٢٦]، وقوله: ﴿قُلْ اسْتَهِزْءُوا إِيَّائِيَ إِنَّ اللَّهَ يُخْرِجُ مَا تَحَدَّرُونَ﴾ [التوبة: ٦٤]. ثم مضى المرصفي مبيناً عدم وجود همزة الوصل في الفعل المضارع، وأنه لا توجد فيه إلا همزة القطع، ومدلاً على المحترزات مما سبق واحدة واحدة، وهذا من حسن استرساله بعلم عميق وفهم دقيق لحثيات هذا الموضوع. إن ما ذكرناه في هذا المبحث إنما هو نماذج فقط من مسائل علم التجويد، وهكذا كان المرصفي رحمه الله تعالى في كل مسائل هذا الكتاب المبارك المستوعب.

المبحث الرابع

آثاره وأقوال العلماء فيه ووفاته

لا شك أن للعلماء العاملين آثاراً وبصمات على صفحة هذه الحياة، وهم يستحقون المدح والثناء في مسيرتهم العلمية والثقافية؛ ذلك لأنهم لا يودعون الدنيا إلا بذكر حسن، وصيت طيب، وعلم ينتفع به، وفي النقاط الآتية بيان ذلك:

أولاً: تلاميذه^(٣٦)

كان المرصفي رحمه الله تعالى محققاً في علم القراءات، ذا باع طويل فيها، بارعاً في علم الرسم والضبط، حتى كأن الله تعالى خلقه لعلوم القراءات خاصة.

ولم ينفك الشيخ المرصفي عن الدرس وإفادة الطلاب أبداً، وكان بيته في المدينة المنورة حافلاً بالتلاميذ الذين يأخذون عنه القراءات ويزدحمون عليه كل يوم.

ومن أشهر تلاميذه:

١. الشيخ أحمد الزعبي الحسني، أخذ عنه رواية حفص من طريق الشاطبية، ودرس عليه الدرة لابن الجزري، وعقيلة أتراب القوائد في رسم المصحف للشاطبي، وأجازه بهما.
٢. الشيخ عبد الرحيم البرعي، أخذ عنه القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة.
٣. الشيخ محمد تميم الزعبي^(٣٧)، أخذ عنه القراءات العشر من طريق الطيبة، وقرأ عليه عقيلة أتراب القوائد وناظمة الزهر.
٤. الشيخ أحمد ميهان التهانوي الباكستاني، أخذ عنه القراءات الثلاث من طريق الدرة.
٥. الشيخ إدريس عاصم من باكستان/لاهور، أخذ عنه القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة.
٦. الشيخ محمد إبراهيم الباكستاني، أخذ عنه القراءات العشر من طريقي الشاطبية والدرة.

٧. الشيخ عبد الرحيم محمد الحافظ العَلَمي، من المدينة المنورة، أخذ عنه القراءات السبعة من طريق الشاطبية، وأفرد عنه رواية حفص من الشاطبية.

٨. الشيخ عبد الناصر يوسف سلطان، من المدينة المنورة، أخذ عنه رواية حفص عن عاصم من طريق المصباح وأجازه بذلك.

٩. الشيخ خالد محمد حافظ العَلَمي، أخذ عنه ختمة كاملة برواية حفص عن عاصم من الشاطبية وأجازه بذلك.

١٠. الشيخ الدكتور أحمد شكري الشابسوغ من الأردن، قرأ عليه ختمة برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية وأجازه بذلك.

١١. الشيخ زايد الأذان من موريتانيا، قرأ عليه القراءات السبعة إلى سورة الأحزاب.

١٢. الشيخ يوسف شفيق، قرأ عليه القراءات العشر الصغرى إلى سورة الأنبياء.

والاثنتان الأخيران لم يتما؛ لموافاة الشيخ المرصفي الأجل المحتوم.

وغيرهم من التلاميذ ممن أخذ عنه قليلاً أو كثيراً، وكان بعضهم يقرأ عليه حتى أثناء الطعام، وكان العلم واستظهار متونه عنده

كالعجينة اللينة حتى أن بعض الأساتذة كانوا يأخذون عنه أبواباً من العلوم.

وكان لا يمنع أحداً ممن طلب العلم مهما كانت ظروفه الصحية، الأمر الذي انعكس على زواره وتلاميذه بالبركة والفائدة والتأثر

بجميل أخلاقه وحلو صفاته، وعظيم صبره وتحمله، وطول نفسه، وكرامة نفسه، وبذلك ربّى جيلاً من العلماء العاملين، والتالين المتأدبين،

والمقرئين المؤدبين.

ثانياً: أقوال العلماء فيه

شأن كَلِّ عالم قدّم لأُمَّته وبلده وللعلم خيراً أن يُطرى عليه بما هو أهله، ويُنسى عليه بما يستحقه، فذلك من بركة المسيرة العلمية،

وكانه حيٌّ بذكره، حاضر بعلمه، موجود بين أحبائه، وهكذا كان الشيخ المرصفي، وفيما يأتي طرف من ثناء العلماء عليه في شخصه

ومؤلفه الأصيل هداية القاري:

• الشيخ عبد الرزاق علي موسى

قال: (صحبت الشيخ المرصفي فوجدت له مواقف مشهودة محمودة في نصره القرآن، والذود عن حياضه، ودفع جهالات المغيرين

عليه، وقد نبّه على سهو القدامى وغلط المحدثين، فأعلى بذلك راية الكتاب المبين)^(٣٨).

• الشيخ حسين خطّاب

قال: (رغبت في قراءة هذا الكتاب "هداية القاري" الذي وضعه مؤلفه ليردّ المسلمين عن اللحن، وينطقوا بحروفه غصّاً طريّاً كما نزل،

ووجدته كتاباً جامعاً مبسطاً ملماً بأبواب هذا الفن، وقد جمع فيه ما تبعث في كتب القدامى، وناقش بعض النصوص للمؤلفين السابقين

مناقشة علمية أدبية..)^(٣٩).

• الشيخ أحمد عبد العزيز الزيات

قال عن الكتاب: (هذا الكتاب بحقٍ قد خدم القرآن الكريم حيث بيّن ما يجب على القارئ من انتهاج منهج السلف الصالح في فهم الكتاب

المبين، ودراسة أحكامه وتتبع تلاوته، وإني لأشكر للأستاذ المرصفي ما انتهجه من الردّ على أولئك الذين لم يعبؤوا بالتخليط والتركيب)^(٤٠)

أي في قراءة القرآن الكريم)^(٤١).

• الشيخ حسنين محمد مخلوف

قال: (.. وقد قام ببيان المباحث الهامة في هذا العلم الجليل والشأن الخطير أخونا العلامة الفاضل الكاتب المجيد والباحث المحقق الشيخ

عبد الفتاح المرصفي، وكتابه من خير ما أُلّف في هذا الشأن العظيم، جامعاً للمباحث الهامة في هذا العلم ببيان واضح، وتحقيق دقيق،

وأسلوب متين، واستقصاء للمباحث..)^(٤٢).

• الشيخ عامر السيد عثمان

قال: (.. ومؤلف الكتاب معروف بمؤلفاته وتضلّعه في هذا الفن، فهو محقق مفنّن له قدم راسخة في فن القراءات والتجويد.. وهذا الكتاب

يوفر على المسلمين بشكل عام وطلاب هذا الفن بشكل خاص مؤنة الرجوع إلى المراجع القديمة والحديثة)^(٤٣).

• الشيخ محمد تميم الزعبي

قال عن شيوخه المرصفي: (لما قرأت عليه القراءات العشر الكبرى من طريق طيبة النشر فما من مسألة عن دقائق فن التجويد والقراءات إلا وله فيها باع، وله عليها اطلاع)، وقال عن كتابه: (وجدته جامعاً لأمّهات مسائل فن التجويد مستوفياً كلّ مسألة حقّها ومستحقّها، يغني العالم عن النصب في تحقيق مسألة ما عويصة في هذا المجال، ويوفي بالغرض على المبتدئين)^(٤٤).

● الأستاذ رشاد عبد التواب السس

قال عن الكتاب: (.. من أنفس ما كتبت في علم التجويد، فهو كتاب جمع فيه مؤلفه كلّ المسائل المتعلقة بأحكام التجويد إيجاباً وإطناباً، وهو ثمرة أكثر من ربع قرن في تدريس القرآن الكريم وعلومه)^(٤٥).

وهذا قليل من كثير ممّن أثنى على الشيخ وكتابه هداية القاري، ومن ميزة هذا الكتاب الفريدة عدا ما ذكر التراجم آخر الكتاب لعلماء هذا الفن من القدامى والمحدثين في طول العالم الإسلامي وعرضه، وهي (٦١) ترجمة قلّ أن توجد مجتمعة في كتاب آخر ممّا جعل كتابه كتاب علم وتحقيق وتاريخ.

ثالثاً: مؤلفاته

- كان الشيخ مشغولاً بالتدريس والإفادة كما أسلفنا، ومع ذلك فقد بارك الله له بوقته الحافل بالتعليم فألّف كتباً نافعة في التجويد والقراءات، ومن أشهر كتبه:
- هداية القاري إلى تجويد كلام الباري، وقد ألّفه في مدة بقاءه في المدينة المنورة فجاء كتاباً بديعاً حاوياً لشتى مسائل علم التجويد بأسلوب العالم المحقق المدقق، وتلقى الناس كتابه هذا بقبول حسن، وأقبل عليه طلاب العلم مغترفين من دقيق مسائله وغزير فوائده، وهو أكثر كتبه نفعا، وأوسعها انتشاراً.
 - الطريق المأمون إلى أصول رواية قالون، وقد ألّفه وقت بقاءه في ليبيا.
 - شرح الدرّة.
 - الإدغام في القرآن الكريم ومذاهب الأئمة العشرة فيه من طريق طيبة النشر.
 - رسائل ومقالات أخرى في علوم القرآن^(٤٦).

ثالثاً: وفاته

في يوم الأربعاء: ١٧/جمادى الآخرة/١٤٠٩هـ، الموافق: ٢٥/كانون الثاني/١٩٨٩م، كان أحد طلابه من الأردن، ويقوم في الإمارات العربية المتحدة، وهو: بلال الصرايرة يقرأ عليه سورة الملك بعد صلاة العصر، ولما وصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢] توقف الشيخ عن التصحيح فجأة، وإذا بمسيرة حياة حافلة بالعلم، خاشعة في طريق القرآن الكريم تستجيب لنداء الآخرة، لتنتقل إلى الرفيق الأعلى جلّ وعلا، فيالها من خاتمة قرآنية حسنة، ونهاية إيمانية مباركة، وآخر عقد لؤلؤي في جسد الشيخ الجليل المرصفي.

وفي فجر الخميس يُصلّى على الشيخ في الحرم النبوي الشريف، وتتجمع الحشود للصلاة عليه، ثم يوارى الثرى في بقع الصالحين والشهداء من خير الأجيال على الإطلاق، ومكان دفنه بين قبر سيدنا عثمان ؓ وشهداء الحرّة ؓ، فرحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأجزل له المثوبة، ونور قبره الشريف.

الخاتمة

- في هذا البحث المتواضع بعض النتائج أسطرها في هذه الخاتمة
- عالم القراء والقراءات واسع رحب دلّ على حيوية هذه الأمة وعنايتها بكتاب الله عزّ وجل، ومن أعلام هذا العصر العلامة الشيخ عبد الفتاح المرصفي الذي امتاز بشخصية فذة وعلم واسع في هذا المجال الخصب، ممّا جعل منه علماً بارزاً في مجال علم القراءات على وجه الخصوص.
 - إنّ تسليط الضوء على سيرة حياته المباركة يُعدّ من باب الوفاء بحقّه من ناحية، والحثّ لقراء عصرنا في الاقتداء به وبأمثاله من ناحية أخرى، وإنّ إبراز مثل هذه الصفحات الناصعة يُعدّ تواصلًا بين أجيال القراء، وإنّ العناية بهذه التراجم تصبّ في إبراز حضارة العالم العربي والإسلامي على الصعيد العلمي الإقراطي.

- لاشك أن هذا العالم الجليل قد أنفق كثيرًا من الجهد والوقت والترحال لطلب علم القراءات والاجتهاد فيه لبلوغ الغاية التي يطمح إليها ويود تحقيقها في حياته الإقرائية والعلمية، فهو لم يدع شيخًا ولا لم يدخر وسعًا في حله وترحاله تعلمًا وتعليمًا ومناقشة ومذاكرة إلا ووظفه في سبيل التحصيل، الأمر الذي أكسبه ثقة معاصريه فلجوا بالثناء عليه بما هو أهله.
- إن الناظر في كتابه (هداية القاري) ذائع الصيت يلمس نَفَسًا علميًا ونفَسًا دُؤوبية لا تعرف الكلال والملال لتحقيق مسائل هذا العلم الذي تميز به كتابه الرائع، وما تمتع به من أدم جَمٍّ سواء مع شيوخه أو من يناقشهم في هذه المسألة أو تلك.
- وتميز كتابه أيضًا بتراجم ضافية لـ (٦١) شيخًا من شيوخ القراءات المتقدمين والمعاصرين، وهذا لم يفعله أحد ممن ألف في علم التجويد بهذه العناية، وهذه التراجم الوافية أغنت القارئ وكفته مؤونة البحث في المطاوع المطولة، وهذه النتائج وغيرها هي أهم ما انتهى إليه هذا البحث، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلاة ربي وسلامه على سيدنا المصطفى الأمين، وآله وصحبه والتابعين.

المصادر والمراجع

١. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٢. الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي دمشقي الزركلي (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط ١٥، ٢٠٠٢ م.
٣. الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
٤. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر: محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد الحموي المحبّي (ت ١١١١هـ)، دار صادر، بيروت، ط ١، دت.
٥. شرح طيبة النشر في القراءات العشر: شهاب الدين أبو بكر أحمد بن محمد ابن الجزري، المعروف بابن الناظم (ت ٨٣٥هـ)، ضبطه وعلق عليه: الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م.
٦. غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تح: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
٧. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ)، تح: خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.
٨. محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٨ هـ.
٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: أبو محمد عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي المحاربي (ت ٥٤٢هـ)، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٢٢ هـ.
١٠. معاني القرآن: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (ت ٢٠٧هـ)، تح: أحمد يوسف النجاتي ومحمد علي النجار وعبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط ١، دت.
١١. المعجم التجويدي لأشهر ألقاظ علم التجويد: عمر خليفة الشايجي، دار الصديق، السعودية- الجبيل، ط ١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
١٢. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد راغب كحالة دمشقي (ت ١٤٠٨هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١، دت.
١٣. المقدمة فيما يجب على القارئ أن يعلمه (منظومة الجزرية): شمس الدين أبو الخير محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري (ت ٨٣٣هـ)، دار المغني للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
١٤. النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، اعتنى به: نجيب الماجدي، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م.

١٥. هداية القاري إلى تجويد كلام الباري: عبد الفتاح السيد عجمي المرصفي، دار النصر، مصر، ط١، ١٤٠٢هـ.

١٦. كتاب العين: الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.

(١) هكذا عرّف المرصفي بنفسه (هداية القاري، المقدّمة ٣٠/١).

(٢) وهي تقع على الوجه البحري.

(٣) هكذا وصفه تلميذه محمد تميم الزعبي.

(٤) هداية القاري المرصفي ٦٩٦/٢.

(٥) المعجم التجويدي (الملحق)، الشايجي، ص ٤٩٧ - ٤٩٨.

(٦) ينظر: هداية القاري، المرصفي ٦٧٠/٢.

(٧) المصدر نفسه ٦٢٨/٢.

(٨) المصدر نفسه، المقدّمة.

(٩) فمن ذلك شيوخه: المخلّاتي (ينظر: هداية القاري ٧٦٣/٢)، وابن عبد الحق السنباطي (نفسه ٧٧٧/٢)، وأحمد الإسقاطي (نفسه ٧٨١/٢)،

وابن غانم المقدسي (نفسه ٧٨٥/٢)، وغيرهم نحو عشرين من شيوخ الإسناد.

(١٠) ينظر في ترجمته: الكواكب السائرة في أعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي ٣ / ١١٧.

(١١) ينظر في ترجمته: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، المحبّي ٣ / ١٨٥ - ١٨٥.

(١٢) ينظر في ترجمته: المصدر نفسه ٢٢٠/٢ - ٢٢١.

(١٣) هداية القاري ٧٩٨/٢.

(١٤) ينظر في ترجمته: معجم المؤلفين، كحالة ٢٩/٢.

(١٥) ينظر في ترجمته: المصدر نفسه ٤ / ١٦٥ - ١٦٦.

(١٦) هداية القاري ٧٧٩/٢.

(١٧) المعجم التجويدي (الملحق)، الشايجي، ص ٤٩٧.

(١٨) هداية القاري ٨١٠/٢.

(١٩) هداية القاري ٧١٦/٢.

(٢٠) المصدر نفسه، المقدّمة.

(٢١) هداية القاري، المقدّمة ٣٠/١.

(٢٢) ينظر: المصدر نفسه ١٣٩/١ - ١٥٣، والظاء المشالة هي التي فوقها ألف تقريباً عن الضاد، وهو مصطلح أطلقه القدامى من المغاربة

وبعض المشاركة، واستعمله المرصفي.

(٢٣) المقدمة الجزرية، ص ١٤.

(٢٤) غريب القرآن، ص ٢٠٩.

(٢٥) الجامع لأحكام القرآن ١٧ / ٢٤٥.

(٢٦) الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٧٤.

(٢٧) معاني القرآن ٣ / ١١٧.

(٢٨) أضواء البيان ٧ / ١٣٩.

(٢٩) المحرر الوجيز ٥ / ١٣٥.

(٣٠) محاسن التأويل ٦ / ٣٨٠.

(٣١) الجامع لأحكام القرآن ١٠ / ٢٣٦.

(٣٢) غريب القرآن، ص ٣٧٥.

(٣٣) ينظر: هداية القاري ١/٧٢ - ٧٤.

(٣٤) ينظر: هداية القاري ٢/٤٧٨ وما بعدها.

(٣٥) ينظر: كتاب العين ١/١١.

(٣٦) ينظر: مقدّمة هداية القاري.

(٣٧) وهو شيخ القراء بحمص في سوريا، وقد التقى بالشيخ في المدينة وكتب عنه وعن كتابه تقریضاً منشوراً في مقدّمة هداية القاري.

(٣٨) هداية القاري، المقدّمة، ص ٢٣، والشيخ عبد الرزاق مدرّس القراءات وعلومها بكلية القرآن الكريم/الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٢١ - ٢٢، والشيخ حسين خطّاب من شيوخ الاقراء بدمشق.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ١٩، والشيخ الزيات هو المقرئ بالقاهرة والمدرس بقسم تخصص القراءات التابع لكلية اللغة العربية بالأزهر سابقاً.

(٤١) التركيب أو التخليط هو حصول التداخل بين الأوجه والروايات بعضها في بعض دون ترتيب، وهو من شروط جمع القراءات (ينظر: ابن

الجزري، النشر في القراءات العشر ٢/٥١٣، وقال ابن الجزري في طيبة النشر (ينظر: ابن الناظم أبو بكر أحمد بن محمد ابن الجزري، شرح

طيبة النشر ص ١٦٤):

وَجَمَعْنَا	نُخْتَارُهُ	بِالْوَقْفِ	وَعَبَّرْنَا	يَأْخُذُهُ	بِالْحَرْفِ
بَشْرَطِهِ فَلْيَرَعْ وَقَفًا وَابْتَدَأْ			وَلَا يُرَكِّبْ وَلْيُجِدْ حُسْنَ الْأَدَا		

(٤٢) هداية القاري، المقدّمة، ص ١٤، والشيخ حسنين مفتي الديار المصرية سابقاً، وعضو جماعة كبار العلماء بالأزهر.

(٤٣) المصدر نفسه، ص ٢٦ - ٢٧، والشيخ عامر أستاذ كبير ومقرئ شهير، وهو شيخ عموم المقارئ المصرية في وقته.

(٤٤) هداية القاري، المقدّمة، ص ٢٥، والشيخ محمد تميم من تلاميذه النجباء، وهو شيخ القراء بحمص، وقد عاشته أيام طلبى العلم في المدينة

المنورة فكان مثلاً للعالم الفاضل، والقارئ المجيد.

(٤٥) المصدر نفسه، المقدّمة، ص ٨٧٠، والأستاذ رشاد مدرس بكلية المعلمين بالمدينة المنورة، وقد راجع الكتاب وكتب عنه هذا التقریض.

(٤٦) الكتابان الأولان مطبوعان، والأخريان مخطوطان، وأمّا رسائله فهي كثيرة منتشرة مستقلة أو منشورة في مجلات.